ما استطاع أن يقيم الجسور بين الحياتين . وإقامة الجسور بين الحياتين لاتعنى فى الحقيقة أكثر من النظر إلى طبيعة بعض الألفاظ وتصور حياتها وماضيها ومستقبلها .

هذه الحياة حينما تدرس بطريقة موضوعية توضح لنا مغبة الإسراف أو الإقحام أو غيبة التمييز . . وهكذا كانت ضيعة حياة بعض الألفاظ مسئولة عما نواجهه من اضطراب موقفنا من الثقافة الغربية ومواريثنا على السواء .

هل أستطيع أن أزعم أن رسالة جيل الرواد كانت تتمثل فى إحياء محبة اللغة ، وما تحتاج إليه هذه المحبة من تمحيص . . إن القارىء لكتاب « فن القول » قد ينخدع عن حقيقته . فحقيقته أقرب إلى القلق العظيم الذى يعترى رائدا يفكر فى ماضى اللغة وحاضرها . ويتمثل هذا الماضى عنده فى علاقات التوتر بين مستويات اللغة المختلفة وأساليب تصالحها ، وجور بعضها على بعض . هذه علاقات كثيرة لم تتضح حتى الآن .

ولكن أمينا كان يتساءل فى أثناء ذلك كله عن مقاومة اللغة للأعراض التى تنتابها ، ومحاولة النفاذ من الصعوبات غير المنظورة . وبعبارة أخرى كانت حياة اللغة عنده هى حياة هذه الجماعة ، وحياة هذه النهضة التى يسعى إليها . ولم يكن مفهوم النهضة بحيث يتميز من مفهوم محبة اللغة .

وفى وسعك الآن ان تتصور ما أصاب هذا المفهوم على الرغم من كثرة الحديث عن مناهج اللغة ، فقد استفاض النقل وذاع ولكن محبة اللغة من حيث هى أصبحت أحد أحاديث التاريخ . وهذا هو الفرق الأكبر بيننا وبين الرواد .

الرواد يتأملون اللغة وألفاظها وعباراتها وتراكيبها تأمل محب لها ، مشغوف بحياتها ، حريص على أن تستجيب لما يعرض من شئون الثقافة والفكر . . ومن خلال هذه المحبة تتناول اللغة . أرجو أن يمحص القارىء معى هذا الفرق الهائل بين جيلين . جيل يرى أن للغة حياتها وعافيتها وقوتها وقدرتها وحريتها وجمالها وجيل ثان يبهره من مناهج اللغة وطرق التأتى لها ما لايدعم هذه الأحاسيس من قريب . لفظ « التطور » لفظ ساحر ماكر . كان الرواد يعلمون من شئون سحره ومكره الكثير . وكانوا يعلمون أن التطور يجب أن يدعم بالثبات ، وأن الحرية لاتعيش بمعزل عن الضرورة كما يقول